فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين



فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أنيَرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمَّه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَاثُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

دار القلم العربي
للأطفال

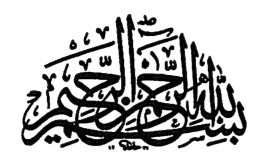


من قصص
الأنبياء
عليهم السلام





إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ ـ 2001 م

عنوان الدار:

سورية ـ حلب ـ خلف الفندق السياحي ـ شارع هدى الشعراوي

ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهل مَدْيَن

مَدْيَنُ، مَدِيْنَةٌ قَرِيْبَةٌ مِنْ مَعَانَ، مِنْ أَطْرَافِ الشَّامِ، وَمَدْيَنُ قَبِيْلَةٌ عَرَبِيَّةٌ، عُرِفَتْ بِهِمْ اسْمُ مَدِيْنَتِهِم وَهُمْ مِنْ بَنِي مَدْيَنَ بْنِ مَدْيَانَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

أَمَّا النَّبِيُّ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَهُوَ شُعَيْبُ بْنُ نُوَيْبِ بْنِ عَيْفَا ابْنِ مَدْيَنَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، مِمَّنْ آمَنَ بِإِبْرَاهِيْمَ وَهَاجَرَ مَعَهُ إلى الشَّامِ، وَكَانَ يُسَمِّيْهِ بَعْضُهُم بِخَطِيْبِ الأَنْبِيَاءِ، وَذَلِكِ لِفَصَاحَتِهِ وَبَلاغَتِهِ، فِي دَعْوَةِ قَوْمِهِ إلى الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ رَبِّه عَزَّ وَجَل.

وَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ إلى أَهْل مَدْيَنَ، الذِيْنَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الأَيْكَةَ[1]، وَيَكْفُرُوْنَ بِاللهِ عَزَّ وَجَل، وَيُشْرِكُونَ بِهِ وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيْقَ عَلى المَارَّةِ، وَيُخِيْفُونَهُم، وَكَانُوا إلى جَانِبِ ذَلكَ يُعَامِلون النَّاسَ مُعَامَلَةً سَيِّئَةً، فَيَبْخَسُونَ المِكْيَال وَالمِيزَانَ، وَيُطَفِّفُونَ فِيْهَا، فَإِذَا بَاعُوا النَّاسَ زَادُوا فِي أَسْعَارِهِم، وَإِذَا اشْتَرَوْا مِنَ النَّاسَ أَنْقَصُوا

(١) الأيكة: شجرة من الأيك تلتفُّ حول الأشجار.

أَسْعَارَهُم. يَقُول سُبْحَانَهُ وَتَعَالى وَاصِفاً مَدْيَنَ، دَاعِياً إلى الإيْمَانِ بِاللهِ الوَاحِدِ:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟[1] ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

وَدَعَاهُمْ رَسُول اللهِ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، إلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لهُ، وَنَهَاهُمْ عَنْ سُوْءِ الخُلقِ وَالمُعَامَلةِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ بَخسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ وَأَمَرَهُم بِالعَدْل، وَالبُعْدِ عَنِ الظُّلمِ وَألا يَتَرَصَّدُوا النَّاسَ فِي الطُّرُقَاتِ، يُخِيفُونَهُم وَيَأخُذُونَ مِنْهُمُ الأَمْوَال، ثُمَّ ذَكَّرَهُم عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالى عَلَيْهِمْ فِيْ إكْثَارِ عَدَدِهِمْ بَعْدَ القِلَّةِ وَحَذَّرَهُمْ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَل إنْ هُم خَالفُوا أَوَامِرَهُ وَابْتَعَدُوا عَمَّا أَرْشَدَهُمْ إليْهِ.

يَقُول سُبْحَانَه وَتَعَالى فِي سُوْرَةِ الأَعْرَافِ.

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ

---

(١) تبخسوا: تنقصوا.

(٢) سورة الأعراف (٨٥).

ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[1].

عنادُ أهل مدين

لكِنَّ أهْل مَدْيَنَ، لمْ يَسْتَمِعُوا إلى شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَصَمُّوا آذَانَهُمْ عَنْ سَمَاعِ الحَقِّ، وَلمْ يُؤْمِنْ بِهِ إلاّ القَلِيْلُ، أمَّا أكْثَرُهُم فَبَقِيَ عَلى ضَلالهِ وَكُفْرِهِ، بَل قَالوا لهُ:

ـ هَل صَلاتُكَ هَذِهِ التِي تُؤَدِّيْهَا، هِيَ التِي تُوحِي إلَيْكَ، أنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأجْدادُنَا وَنَتَوَجَّهَ إلى عِبَادَةِ إلهِكَ؟ وَمَاذَا تُرِيْدُ منَّا؟ هَل تُرِيْدُ أنْ نَتَعَامَلَ مَعَ النَّاسِ عَلى الوَجْهِ الذِي تَرْضَاهُ أنْتَ؟ وَنَتْرُكَ المَعَامَلاتِ التِي تَأبَاهَا، إنْ كُنَّا نَحْنُ نَرْضَاهَا.

وَلكِنَّ شُعَيْباً عَلَيْهِ السَّلَامُ لمْ يُظْهِرِ الغَضَبَ مِنْهُم، وَلمْ يَجْفُ عَليْهِمْ، أوْ يَقْسُ بَل دَعَاهُمْ بِاللِيْنِ وَالرِّفْقِ فَتَلَطَّفَ بِهِمْ، وَاسْتَمَالهُم بِالحُسْنَى، وَذَكَّرَهُمْ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم مِنْ قَرَابَةٍ وَنَسَبٍ يَقُول سُبْحَانَهُ وَتَعَالى:

---

(١) سورة الأعراف (٨٦).

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ(١) إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ(٢) ﴾(٣).

فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، لايَسْتَثْني نَفْسَهُ، مِمَّا يَأمُرُهُ اللهُ عَزَّ وَجَل، وَلِهَذَا يَقُوْل لقَوْمِهِ: لسْتُ آمُرُكُمْ بِالأمْرِ، إلا وَأنَا أوَّل مُلتَزِمٍ بِهِ، وَلسْتُ أنْهَاكُم عَنْ شَيْءٍ، إلا وَأنَا أوَّل مَنْ يَتْرُكُهُ وَيَبْتَعِدُ عَنْهُ، وَهَذِهِ هِيَ الصِّفَةُ المَحْمُودَةُ، فِيْمَنْ يَدْعُو إلى اللهِ عَزَّ وَجَل، فَلا يَجُوزُ أنْ نَقُول مَالا نَفْعَلُ، أو نَفْعَلَ مَالا نَقُولُ، كَمَا كَانَ حَالُ بَنِي إسْرَائِيْل الَّذِينَ قَال فِيْهِم اللهُ تَعَالى:

﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾(٤).

لكِنَّ شُعَيْباً عَلَيْهِ السَّلاَمُ، أحَسَّ نُفُوراً مَنْ قَوْمِهِ وَصَدًّا، وَوَجَدَ فِيْهِم رَغْبَةً في مُخَالفَتِهِ وَالإعْرَاضِ عَمَّا جَاءَ بِهِ، رَغْمَ أنَّهُ بَيَّنَ لهُمُ الحَقِيقَةَ، وَأفْصَحَ لهُمْ عَنْ سُوءِ فِعَالِهِم وَحَذَّرَهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ

---

(١) إنْ أريدُ: ما أريد.

(٢) أنيب: أرجع.

(٣) سورة هود (٨٨).

(٤) سورة البقرة (٤٤).

طُغْيَانِهِم وَظُلمِهِمْ، فَانْتَقَل فِي دَعْوَتِهِ مِنَ اللِّيْنِ وَالرِّفْقِ إلى نَوْعٍ مِنَ التَّرْهِيْبِ وَالتَّحْذيْرِ فَذَكَّرَهُمْ بِمَا حَلَّ بِأقْوَامٍ سَبَقُوهُمْ مِنْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ وَبيَّنَ لهُمْ أنَّ بَعْضَ هَؤُلاءِ الأقْوَامِ قَرِيْبُونَ مِنْهُم كَقَوْمِ لوْطٍ. فَكيْفَ يَتَجَاهَلونَ قَوْمَ نُوْحٍ، الذِيْنَ أغْرَقَهُمُ اللهُ، وَلمْ يُبْقِ مِنْهُم أحَداً عَلى وَجْهِ الأرْضِ؟ وَكَيْفَ يَنْسَوْنَ قَوْمَ هُودٍ الذِيْنَ أخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ فَبَاتُوا فِي هَلاكٍ مُبِيْنٍ؟ بَل كَيْفَ يَتَعَامَوْنَ عَنْ قَوْمِ صَالحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ الذِيْنَ بَاتُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِيْنَ؟[١].

يَقُول سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِي سُورَةِ هُوْدٍ:

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ[٢] شِقَاقِيٓ[٣] أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[٤].

ثُمَّ مَال النَّبِيُّ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فِي دَعْوَتِهِ لِقَوْمِهِ، مِنَ التَّرْهِيبِ، إلى التَّرهِيْبِ وَالتَّرْغِيبِ ، مَعاً وَهَذَا مِنْ حُسْنِ الفِعَال، فَأمَرَهُمْ أنْ يَرْجِعُوا إلى ربِّهِمُ الرَّحِيْمِ الوَدُودِ، وَأنْ يَتُوبُوا إليْهِ فَإنَّهُ مَنْ تَابَ إليْهِ، تَابَ عَلَيْهِ، فَهُوَ عَزَّ وَجَل غَفُورٌ رَحِيْمٌ:

---

(١) جاثمين: مقيمين دون حراك.

(٢) يجرمنكم: يكسبنكم أويحملنكم.

(٣) شقاقي: خلافي.

(٤) سورة: هود (٨٩).

﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[١].

لَكِنَّهُمُ اسْتَمَرُّوا فِي عِنَادِهِم وَكُفْرِهِمْ بَل ابْتَدَعُوا حُجَّةً جَدِيْدَةً، فَقَالوا لنَبِيِّهِمْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

- إنَّكَ ياشُعَيْبُ، ضَعِيْفٌ لسْتَ ذَا قُوَّةٍ وَحَزْمٍ، بَل أنْتَ مُضْطَهَدٌ، وَلوْلا قَبِيْلتُكَ وَعَشِيْرَتُكَ فِيْنَا، لكَانَ لنَا شَأنٌ آخَرُ مَعَكَ، وَلحَارَبْنَاكَ وَرَجَمْنَاكَ. أفَتَدْعُونَا الآنَ إلى تَرْكِ عِبَادَةِ الآبَاءِ وَالأجْدَادِ إلى عِبَادَةِ اللهِ الوَاحِدِ، فَنَحْنُ لا نَفْهَمُ مَا تَقُول، وَلا نُرِيْدُ أنْ نَفْهَمَهُ لأنَّا لا نُحبُّهُ وَلا نُرِيْدُهُ:

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ[٢] كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ[٣] لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾[٤].

أمَّا شُعيبٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَلَمْ يَسْتكِنْ، وَلَمْ يُطأطِىءْ رَأسَهُ، أمَامَ عِزَّتِهِم وَجَبَرُوتِهِم، بَل انْدَفَعَ يَدْحَضُ افْتِرَاءَهُمْ[٥]، وَهَبَّ يَدْفَعُ بَاطِلهُم، وَزُوْرَهُم بَعْدَ أنْ تَمَلَّكَتْهُ العِزَّةُ بِنَصْرِ رَبِّهِ، فَأوْضَحَ لهُمْ

---

(١) سورة هود (٩٠).

(٢) نَفْقَهُ: نَفْهَمُ.

(٣) رَهْطُكَ: قَبِيلَتُكَ.

(٤) سورة هود (٩١).

(٥) افتراءهم: كذبهم.

أنَّ رَهْطَهُ ليْسُوا أرْفَعَ قَدْراً وَلا أشَدَّ قُوَّةً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَل الذِي مَنَحَهُمْ هَذِهِ القُوَّةَ وَأسْبَغَ عَليْهِمْ هَذِهِ النِّعْمَةَ وَقَال:

- كَانَ الأجْدَرُ بِكُمْ أنْ تَترُكُونِي رِعَايَةً لِحَقِّ اللهِ عَزَّ وَجَل، وَتَحْفَظُونِي طَاعَةً لَهُ، لا إكْرَاماً لقَوْمِي وَعِزَّتِهِم. وَمَعَ هَذَا فَاللهُ عَزَّ وَجَل عَليْمٌ، بِمَا تَصْنَعُونَ، مُحِيْطٌ بِذَلكَ كُلهِ، فَافْعَلوا مَا شِئْتُمْ، اسْتَمِرُّوا فِي نَهْجِكُمْ وَطَرِيقَتِكُم، وَحَاوِلوا إِيْصَالَ الشَّرِّ لِي، فَلَنْ أضْعُفَ وَلَنْ أقْنَطَ[١] وَلَنْ أتَخَلى عَنِ الدَّعْوَةِ التِي أرْسِلتُ مِنْ أجْلهَا، فَثِقَتِي بِاللهِ وَبِنَصْرِهِ لا حُدُودَ لهَا، أمَّا أنْتُم فَانْتَظِرُوا عَاقِبَةَ الدَّارِ، إلى أنْ يَحِل بِكُمُ الهَلاكُ وَالبَوارُ.

يَقُول اللهُ تَعَالى فِي كِتَابِهِ العَزِيْزِ فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٞ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٞ ﴾[٢].

---

(١) أقنط: من القنوط وهو اليأس.

(٢) سورة هود (٩٢، ٩٣).

استمرارُ الدعوة

وَاستَمرَّ شُعَيبٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فِي الدَّعْوَةِ إلى اللهِ الوَاحِدِ الأحَدِ، الذِي لا شَرِيْكَ لهُ، فَوَجَدَ مِنْ بَعْضِ القَوْمِ آذَاناً صَاغِيَةً وَقُلوباً وَاعِيَةً، فَآمَنَ عَدَدٌ قَليْل مِنْهُمْ، لكِنَّ الفِئَةَ البَاغِيَةَ، اسْتَمَرَّتْ فِي كُفْرِهَا وَعِنَادِهَا وَمُحَارَبَتِهَا لشُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلأَصْحَابِهِ الذِيْنَ آمَنُوا بِهِ، فَاشْتَدَّ أذَاهُمْ لهُ وَلأصْحَابِهِ، وَخَاصَّةً أنَّهُم خَافُوا إنْ كثُر عَدَدُهُم أنْ يَقْوَى عُودُهُ وَيَشْتَدَّ سَاعِدُهُ وَيَعْظُمَ أمْرُهُ وَيَنْتَشِرَ دِينُهُ، فَطَلبُوا مِنْهُ أنْ يَرُدَّ مَنْ آمَنَ مِنْهُم إلى مِلَّتِهِم وَدِيْنِ آبائِهِم وَأجْدَادِهِم فَقَال لهُمْ شُعَيبٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

ـ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ قَدْ هَدَاهُمُ اللهُ إلى الإيمَانِ، الذِي مَلأ قُلوبَهُم وَملكَ مَشَاعِرَهُم، فَأصْبَحُوا وَالإيمَانُ، شَيْئاً وَاحِداً، لا يَنْفَصِل فَكَيْفَ تُرِيْدونَهُم أنْ يَرْتَدُّوا عَنْ دِيْنِهِم، بَعْدَ أنْ فَازُوا فَوْزاً عَظِيْماً؟ وَوَعَدَهُمُ اللهُ بِجَنَّاتِ النَّعِيْمِ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ، أتُرِيْدُونَهُم أنْ يَعُودُوا إلى الضَّلالةِ وَالعَمَى؟ أتُرِيْدُونَهُمْ أنْ يُلقُوا بِأنْفُسِهِم إلى التَّهْلُكَةِ بَعْدَ أنْ أنْقَذَهُمُ اللهُ مِنْ سُوءِ العَذَابِ؟ ألسْتُم تَعْقِلونَ يَاقَوْمِ؟ ألمْ أبيِّنْ لكُمْ طَرِيْقَ الخَيْرِ مِنْ طَرِيْقِ الشَّرِّ؟ ألمْ

أدْعُكُمْ إلى الإيْمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَل؟ فَمَالكُم وَهَؤُلاءِ القَومِ؟ إنَّهُم لنْ يَعُودُوا إلى مِلَّتِكُم بِمَحْضِ إرَادَتِهِم، وَإنَّمَا يَعُودُونَ إلَيْكُمْ، إنْ عَادُوا، مُضْطَرِّيْنَ كَارِهِيْنَ، وَذَلكَ لأنَّ الإيمَانَ إذَا سَكَنَ قَلْبَ أحَدٍ، أشَاعَ فِيْهِ النُّورَ وَالضِّيَاءَ، وَنَشَرَ فِيْهِ الأمْنَ وَالطُّمَأنِيْنَةَ، فَأيْنَ أنْتُم مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ العَظِيْمَة، نِعْمَةِ الإيمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَل؟ إنَّكُم يَاقَومِ بِضَلالكُم تُثِيْرُونَ حُزْنِي وَألمِي عَليْكُم، وَلا تَسْتَحِقُّونَ سِوَى الشَّفَقَةِ، عَسَى رَبِّي أنْ يَهْدِيَكُم سَوَاءَ السَّبِيْل، وَيَدُلَّكُم إلى طَرِيْقِ الرَّشَادِ وَالهِدَايَةِ.

وَعِنْدَمَا وَجَدَ قَوْمُ شُعَيْبٍ صَلابَةَ إيْمَانِهِ وَإيمَانِ أَصْحَابِهِ هَدَّدُوهُ: إنْ هُوَ لمْ يَرْجِعْ مَعَ أصْحَابِه إلى مِلَّتِهِم فَلسَوفَ يَطْرُدُونَهُم مِنْ قَرْيَتِهِم. يَقُول سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِي سُورَةِ الأعْرَافِ:

﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾(١).

---

(١) سورة الأعراف (٨٨، ٨٩).

وَكَغَيْرِهِم مِنَ الكَفَرَةِ وَالفَاسِقِينَ الضَّالينَ، اتَّهَمُوا النَّبِيَّ شُعَيْباً عَلَيْهِ السَّلامُ بِأَنَّهُ قَدْ أَصَابَهُ مَسٌّ مِنَ الجُنُونِ، أَوْ أَنَّهُ سَاحِرٌ خَدَعَ بَعْضَهُم بِسِحْرِهِ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِذَلكَ بَل قَالوا لهُ: إِنَّمَا أَنْتَ يَاشُعَيْبُ وَاحِدٌ مِنَّا، وَبَشَرٌ مِثْلنُا، تَأْكُل كَمَا نَأْكُل، وَتَشْرَبُ كَمَا نَشْرَبُ، أَفَيُعْقَلُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ المَبْعُوثِيْنَ؟ وَمَا نَظُنُّكَ يَاشُعَيْبُ إلا كَاذِباً مُدَّعِياً، فَإِنْ كُنْتَ عَلى حَقٍّ مِمَّا تَقُول فَاطْلُبْ مِنْ رَبِّكَ أَنْ يُسْقِطَ عَلَيْنَا كِسَفاً[1] مِنَ السَّمَاءِ. ثُمَّ اتَّجَهُوا مَرَّةً ثَانِيَةً، إلى مَنْ حَسِبُوهُم مُسْتَضْعَفِينَ فَخَوَّفَوهُمُ العِقَابَ الشَّدِيْدَ، إِنْ تَرَكُوا ظُلمَ النَّاسِ وَعَامَلوهُمْ بِالقِسْطِ، وَلمْ يُطَفِّفُوا بِالكَيْل وَالمِيْزَانِ، أَوْلمْ يَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم، وَيَعِيْثُوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ضَالِيْنَ مُضِليْنَ.

العقابُ الشديد

وَلمَّا فَقَدَ شُعَيْبٌ عَليْهِ السَّلامُ الأَمَل، فِي إِنْقَاذِ قَوْمِهِ، وَانْتِشَالِهِم مِنْ مُسْتَنْقَعِ الجَهَالةِ وَالضَّلالةِ، إِلى شَاطِيءِ الأَمَانِ، وَيَئِسَ مِنْ هِدَايَتِهِمْ إِلى الحَقِّ، وَأَيْقَنَ مِنْ إِصْرَارِهِمْ عَلى الكُفْرِ،

---

(١) كسفاً: قطعاً من السماء.

اسْتَفْتَحَ عَلى قَوْمِهِ، وَاسْتَنْصَرَ رَبَّهُ فِي تَعْجِيْل مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عَذَابٍ وَشَقَاءٍ، وَدَعَا عَلَيْهِم، وَطَلَبَ مِنْ رَبِّهِ أنْ يُجَازِيَهُم عَلى كُفْرِهِم وَعِنَادِهِم، وَاللهُ تَعَالى لا يَرُدُّ دُعَاءَ رُسُلِهِ، فَدُعَاؤُهُمْ مُسْتَجَابٌ، وَخَاصَّةً إذَا اسْتَنْصَرُوهُ عَلى الذِيْنَ جَحَدُوا بِهِ وَكَفَرُوا بِدِيْنِهِ.

وَلكِنَّ القَوْمَ لاهُونَ مُنْصَرِفُونَ إلى مَلَذَّاتِهِم وَشَهَوَاتِهِم، يَحْسَبُونَ أنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَقَاءٍ بَل يَحْسَبُونَ أنَّهُم خَالِدُونَ فِيْهَا، مُتَنَاسِيْنَ مَا حَل بِأقْوَامٍ قَدْ سَبَقُوهُمْ.

وَاسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَل دُعَاءَ نَبِيِّهِ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَابْتَلاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَل بِأنْوَاعٍ مُخْتَلفَةٍ مِنَ العَذَابِ، وَصَبَّ عَلَيْهِمْ جَامَ غَضَبِهِ، فَبَاتُوا فِي أسْوَأ حَال، يَتَضَرَّعُونَ وَيَطْلبُونَ النَّجْدَةَ بَعْدَ فَواتِ الأوَانِ، فَلا يَجِدُونَ مُغِيثاً(١) وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ، فَنَالوا عِقَابَهُمُ الذِي اسْتَعْجَلوهُ.

فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَل فِي سُورَةِ الأعْرَافِ، أنَّهُم أخَذَتْهُم رَجْفَةٌ فَأحَسُّوا الأرْضَ تَتَزَلزَل تَحْتَ أقْدَامِهِم زِلزَالاً شَدِيْداً، فَأُزْهِقَتْ أرْوَاحُهُم مِنْ أجْسَادِهِم، وَصَارَتْ حَيَوَانَاتُ الأرْضِ

---

(١) مغيثاً: منقذاً.

كَجَمَادِهَا، وَأَصْبَحَتْ جُثَثُهُم جَاثِمَةً لا حَرَاكَ فِيْهَا.

يَقُول اللهُ تَعَالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[1]

وَأَمَّا فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَل، أَنَّهُ أَخَذَهُم عَذَابُ يَوْمِ الظُّلةِ، فَأَصَابَهُم حَرٌّ شَدِيْدٌ، وَمَنَعَ اللهُ عَنْهُمُ الهَوَاءَ سَبْعَةَ أيَامٍ، فَكَانَ لا يَنْقُصُهُمْ مَاءٌ وَلا ظِل فَوَلَّوْا هَارِبِيْنَ، وَخَرَجُوا مَذْعُورِيْنَ مُسْرِعِيْنَ، وَلَكِنْ إلى أَيْنَ المَفَرُّ؟ فَصَارُوا أَشْبَهَ بِالمسْتَجِيْر مِنَ الرَّمْضَاءِ[2] بِالنَّارِ، إِذْا رَأَوْا فِي السَّمَاءِ سَحَابَةً حَسِبُوهَا وَاقِيَةً لهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَاجْتَمَعُوا تَحْتَهَا، عَسَى أَنْ تُخَفِّفَ عَنْهُم شِدَّةَ القَيْظِ وَحَرَارَتَهُ، حَتَّى إِذَا تَكَامَل عَدَدُهُم أَرْسَلَهَا اللهُ عَزَّ وَجَل تَرْمِيْهِم بِشَرَرٍ وَشُهُبٍ، فَأَزْهَقَتْ أَرْوَاحَهُم وَأَحَالتْ دِيَارَهُمْ إلى خَرَابٍ تَعْبَثُ فِيْهَا الأَشْبَاحُ وَتَصْفِرُ فِيْهَا الرِّيَاحُ.

يَقُول سُبْحَانَهَ وَتَعَالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف الآية / ٩١/.

(٢) الرمضاء: حرارة الصحراء الشديدة

(٣) سورة الشعراء /١٨٩/.

نجاةُ شعيب والمؤمنين

أمَّا النَّبيُّ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالذِيْنَ آمَنُوا بِهِ، فَقَدْ أنْقَذَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَل مِنَ العَذَابِ، الذِي حَاقَ بِالقَوم الكَافِرِيْنَ، رَحْمَةً بِهِمْ وَمُكَافَأَةً على إيْمَانِهِم فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.

يَقُول سُبْحَانَهُ وَتَعَالى فِي سُورَةِ هُودٍ:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[1].

وَعِنْدَمَا رأى النَّبِيُّ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا حَل بِقَوْمِهِ أسِفَ عَلَيْهِمْ أشَدَّ الأسَفِ، وَأعْرَضَ عَنْهُم تَارِكاً دِيَارَهُم بَعْدَ هَلاكِهِم، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَأنَّهُ انْتَابَهُ الحُزْنُ لِمَا آل[2] إلَيْهِ قَوْمُهُ وَلكِنَّهُ، ألَمْ يَقُمْ بِوَاجِبِهِ خَيْرَ قِيَامٍ؟ ألَمْ يَحْرِصْ كُلَّ الحِرْصِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ؟ وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ سُوءِ الفِعَال وَالأقْوَال، مِمَّا خَفَّفَ عَنْهُ الوَجْدَ وَالحَزْنَ.

---

(١) ثمود: قوم النبي صالح عليه السلام من سورة هود الآية / ٩٤ ـ ٩٥/ .

(٢) آل: انتهى.

يَقُول اللهُ تَعَالى فِي سُورَةِ الأعْرَافِ:

﴿ فَتَوَلَّىٰ(١) عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ(٢) عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾.

وَهَكَذَا يَلقَى كُلُّ مُخْتَال فَخُورٍ، وَكُل كَافِرٍ جَاحِدٍ جَزَاءَهُ العَادِل، مَهْمَا طَالتْ بِهِ السِّنُونَ، فَاللهُ عَزَّ وَجَل يُمْهِل وَلا يُهْمِل، وَقَدْ يَمُدُّ المُتَجَبِّرَ المُتَكَبِّر، بِكُلِّ أنْوَاعِ المَلذَّاتِ وَالمُغْرِيَاتِ لكِنَّهُ إنْ أغْلقَ عَقْلَهُ، وَأوْصَدَ قَلبَهُ لنِدَاءِ رَبِّهِ، الذِي يَدْعُوهُ إلى الإيْمَانِ، فَلنْ يُفْلحَ أبَداً، وَسَيَكُونُ مِنَ الخَاسِرِيْنَ، وَسَيَنْدَمُ عَلى مَا فَاتَ وَعَلى مَا قَدَّمَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَسَيَخْلدُ فِي نَار جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المَصِيْرُ.

اللهُم نَجِّنَا مِنْهَا وَاجْعَلنَا مِنْ أهْل الجَنَّةِ مَعَ الأبْرَارِ والصَّالحِيْنَ آمِيْنَ.

* * * * *

---

(١) فتولى: أعرض عنهم.

(٢) آسى: أحزن.